فكاهات

اول كاس (١)

كان في سنة ١٨٦٥ رجلٌ طاعنٌ في السن يقيم مع ابنيهِ في بلدةٍ بالقرب من دمشق توفيت زوجتهُ وادركهُ بعد فقدها حزن شديد فزهد في الحياة وانقطع في بيتهِ باكيًا متحسرًا فاصابهُ مرض عضال الزمهُ الفراش مدةً وسلبهُ ما لهُ من الصحة . ولما طال مرضهُ ادرك انهُ اصبح على باب الابدية فاستدعى يومًا ولديهِ وكان لاكبرهما من العمر خمس وعشرون سنة واسمهُ جبرائيل ولاصغرهما عشرون سنة واسمهُ سعيد وقالَ لهما قد ازفت ساعة مفارقتي اياكما وترك هذا العالم الذي حنت ظهري مصائبهُ واني آسفٌ كثيرًا لانهُ لم يتيسر لي جمع مبلغ طائل من المال اتركهُ لكما يكفيكما شقآء الحياة ولكن ما اعهدهُ فيكما من الحذق والنشاط يغنيكما مع الاتكال على الله واستمداد معونتهِ وارشادهِ عما اتركهُ لكما . فاوصيكما اول كل شيء ان لا تحزنا لفقدي فاننا لهذا ولدنا وانما كلنا في هذه الارض عابرو سبيل واقضيا حياتكما بالتقوى والصلاح وعيشا بالاتفاق والمحبة فلا يفصل بينكما احد وكونا رجلين تعتمدان على جدكما وسعيكما ولا تتذللا لأحد فلا اصعب من جميل الانسان ولا اثقل من الدين ولا سيما دين الصدقة والمعروف . واني وان لم اترك لكما ارثًا جزيلاً فالقليل الموجود كافٍ ليمكنكما من السفر الى بلاد اخرى فسافرا بدون تأخير لان معيشة الغربة تخفف من احزانكما وتشحذ عزائمكما للعمل فتبلغان باذنهِ تعالى ما اتمناهُ لكما من التوفيق والنجاح وارى ذلك من الديار التي اكون فيها فتبارككما نفسي

وافاض ذلك الوالد المسكين في نصح اولادهِ وهما لا يجيبانهِ الا بالزفرات والشهيق ثم جثوا بجانب سريرهِ وقد اخذ كلٌّ منهما يدًا من يديهِ يقبلها ويغسلها

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

بدموعهِ . ولما اتم الاب وصيتهُ وارشاداتهِ رفع يديهِ على رأسي الولدين و باركهما بركةً لم يسمعا منها سوى الكلمات الاولى وكان الموت يضعف من قوة نطقهِ شيئاً فشيئاً حتى فاضت روحهُ مع آخر كلمةٍ تحركت بها شفتاهُ

وبكى الولدان اباهما اياماً ثم سئمت نفساهما الاقامة في تلك البلاد فصمما على مغادرتها عملاً بوصية والدهما المتوفى فجمعا ما تركهُ لهما من الميراث واقتسماهُ بالسوية وتباحثا في وجهة السفر فارتأى اصغرهما ان يسافرا معاً الى البلاد الاميركية وقال الاكبر لا بل يسافر كلٌّ منا الى جهة لانهُ من يضمن لنا النجاح اذا ذهبنا الى بلدةٍ واحدة ولكن اذا تفرقنا فاذا لم ينجح الواحد لم ينقطع الامل من نجاح الآخر واذا تضايق الواحد امكن ان يساعدهُ الآخر ولعل الله يأخذ بايدينا ويكتب لنا التوفيق فلا نيأس من اجتماع شملنا بعد هذا الفراق

وبعد مناقشةٍ دامت اياماً قرر الاخوان العمل برأي اكبرهما فودّع بعضهما بعضاً وسافر الاكبر الى جهات البرازيل والاصغر الى القطر المصري . وبلغ الاكبر مدينة ريوجنيرو وليس لديهِ من المال الا مبلغ يسير بقي لهُ من ارثهِ بعد نفقات السفر ولما القى عصاهُ في تلك البلاد الغريبة وهو لا يعرف فيها احداً جعل يفكر في طريقةٍ لكسب معاشهِ فنزل بفندقٍ اقام فيهِ باجرة يسيرةٍ بضعة ايام . وفي ذات يوم خرج صباحاً كعادتهِ الى شوارع المدينة واخذ يجول بين التجار واصحاب الحوانيت يبحث عن عملٍ يعملهُ الا انهُ كان جاهلاً لغة البلاد فلم يدرِ كيف يخاطبهم ويفهم منهم واخيراً قدّر لهُ ان بلغ محلاً يعرف صاحبهُ شيئاً من اللغة الفرنسوية فاطلعهُ جبرائيل على غرضهِ وانهُ يطلب عملاً يرتزق منهُ وكان الرجل في حاجةٍ الى مساعدٍ يعينهُ في حساباتهِ ورأى في وجه جبرائيل ما دلهُ فيهِ على الاستقامة والامانة والذكآء فادخلهُ في خدمتهِ وكان لهُ ميل شديد الى التجارة فجعل يعرض على صاحب المحل آراءً جديدة ويهديهِ الى معاملاتٍ مستحدثة وعادت نصائحهُ بالخير والربح الجزيل على صاحب المحل فازداد حبهُ لهُ وزاد راتبهُ ثم ادخلهُ شريكاً في العمل. ولما تمكن جبرائيل من جمع مبلغٍ كافٍ من المال طلب الانفصال عن شريكهِ

والاستقلال بالعمل وانشأ لنفسهِ محلاً تجارياً كبيرًا ما عتم ان امتدت شهرتهُ في تلك الاصقاع وكثر المترددون عليهِ والمعاملون لهُ واصبح من الاغنياء ثم تزوج بفتاةٍ من اهل تلك الديار ورزقهُ الله منها غلاماً سماهُ فيليب على اسم خالهِ وعاشت تلك الاسرة الصغيرة في رخاءٍ ونعيم

اما الاخ الاصغر سعيد فانهُ جاء مصر كما ذكرنا وكان ذلك لعهد المغفور لهُ اسماعيل باشا فكان ينتقل من بلدةٍ الى اخرى سعياً في طلب الرزق وسهلت لهُ التقادير وجود خدمةٍ في قصر الامير فلبث فيها مدةً ناعم البال . ورأى اسماعيل باشا في خدمة سعيد همةً واخلاصاً فمال اليهِ وكان يغمرهُ بالعطايا الجزيلة فلم يمضِ عليهِ سنواتٌ كثيرة حتى اصبح ذا مالٍ واقطعهُ اسماعيل ارضاً في بعض مديريات الوجه البحري فاصلحها وبنى لهُ فيها بيتاً فخيماً وخصص باقيها للزراعة . وكانت انظار اسماعيل لا تزال موجهةً الى هذا الخادم الامين فكانت ارباحهُ تتضاعف وداثرتهُ تتسع وما زال على ذلك الى ان انقضت ايام الخديوي المذكور وقد اصبح ريعهُ يقدّر بالالوف

وكان اخوهُ جبرائيل بعد وصولهِ الى البرازيل واقامتهِ فيها قد كتب اليهِ واعلمهُ بمحل وجودهِ فكان الاخوان يتكاتبان بدون انقطاع . ولما بلغ جبرائيل درجة الغنى التي ذكرناها قبلاً كتب الى اخيهِ يعلمهُ بذلك ويستقدمهُ اليهِ فأجابهُ سعيد واصفاً الحالة الحسنة التي هو فيها وانهُ في رخاءٍ وسرور وعيش رغيد

وبعد خمس عشرة سنة من وصول جبرائيل الى البرازيل حدث فيها ثورةٌ كان معظمها في ريوجنيرو وثار البرازيليون على الاجانب والغرباء ومن جملتهم جبرائيل فنهبوا محلهُ واتلفوا مالهُ وهجموا على بيتهِ قاصدين الايقاع بهِ فتلقتهم زوجتهُ وجعلت تكلمهم بلطف وتذلل الى ان تركوهُ وانقلبوا راجعين . غير ان احدهم لم يستحسن العودة بدون اظهار شيء من شراستهِ فوجه بندقيتهُ الى تلك الزوجة المسكينة واطلق رصاصة اصابتها في صدرها فسقطت تختبط بدمها بين يدي زوجها . وكانت هذه الضربة تفوق احتمال جبرائيل المذكور فبقي اياماً مأسورًا في بيتهِ وهو

كفاقد العقل ولم يجترئ على الخروج من سجنهِ هذا خوف القتل فدفن زوجتهُ في حديقة الدار ولبث لا يفارق ضريحها الاَّ اذا أجبرهُ خدمهُ وولدهُ فيليب لتناول القوت . وحالما خمدت نيران الثورة ترك البلاد لانهُ لم يعد يطيق الاقامة فيها وجآء مصر مع ابنهِ قاصدًا اخاهُ فكان لملتقى الاخوين بعد ذلك الفراق الطويل و بعد ما ذكر من الحوادث تأثيرٌ شديد يتراوح بين سرور اللقآء ومضّ الاسف . و بذل سعيد جهدهُ في تسلية اخيهِ وتطييب خاطرهِ غير ان المصيبة الفادحة التي ألمت بهِ كانت قد نهكت قواهُ واوقعتهُ في مرض عضال اودى بحياتهِ بعد وصولهِ ببضعة اشهر . ولما شعر جبرائيل بدنو اجلهِ استدعى اخاهُ سعيدًا واوصاهُ بابنهِ فيليب وقال لهُ اذكر يا اخي ما اوصانا بهِ والدنا قبل وفاتهِ و بما انك لا تزال عزَبًا وانا قد فقدت زوجتي فسيكون ابني هذا بعد مماتي بمنزلة ابنٍ لك يعيش في طاعتك ويأتمر بأوامرك اما انا فسأموت ناعم البال لعلمي انهُ في حراسة من يعتني بهِ اكثر من ابيهِ . ولم يستطع سعيد ان يجيب اخاهُ بكلمةٍ لانهُ كان غاصًّا بدموعهِ فمدّ المائت يمناهُ ووضعها على رأس ابنهِ وأمسك بيسراهُ يد اخيهِ وفاضت روحهُ

ولبث فيليب في بيت عمهِ معزَّزًا مكرمًا ولم يقصر عمهُ في توفير وسائل سرورهِ وانبساطهِ فربي الولد في عزٍّ ونعيم لا يهمهُ من العالم باسرهِ سوى الملذات واسباب اللهو والمسرات . ولما بلغ الحادية والعشرين من عمرهِ عين لهُ عمهُ راتبًا شهريًّا ينفقهُ في سبيل سرورهِ

وجآء فيليب يومًا الى القاهرة فرأى فيها من اسباب اللهو ما يُرى في وقتنا الحاضر فطابت لهُ الاقامة فيها وكان في اول الامر مقتصرًا على النزهة والتفرج ولكنهُ ما عتم ان قادهُ رسول ابليس الى اندية شارع وجه البركة وتركهُ هناك حائرًا بين بدور الكؤوس وشموس الصهبآء و بين لفتات الفتيات وظبي احداق الظبآء فسقط المسكين في وهدةٍ لم يجد لهُ منها مخرجًا ورأى غيرهُ من الفتيان يرشفون اقداح بنت الحان فجلس على كرسيّ امام مائدةٍ وهو لا يدري ما يفعل . ولم يكد يجلس حتى جآءهُ الخادم وسألهُ ماذا يريد ان يشرب فاستغرب فيليب هذا السؤال ولكنهُ رأى نفسهُ

مدفوعاً الى طلب شيء فقال وقد بدت الحيرة على وجههِ اعطني ما شئت . فتبسم الخادم وغاب هنيهةً ثم عاد و بيدهِ كأس من الوسكي يترقرق لونهُ الذهبي من خلال البلور ووضعها امام فيليب مع شيء من النقول . فأخذ فيليب الكاس وادناها من فمهِ وما شم رائحتها حتى ردّها الى المائدة وكان الجلوس يلاحظونهُ فخجل من نفسهِ واعاد الكأس فابتلعها دفعةً واحدة وشعر باحتراق صدرهِ فابتلع ورآءها كأساً من الماء البارد واخذ منديلاً يمسح بهِ العرق المتحلب من جبينهِ والدموع التي احدثتها حدّة الشراب في عينيهِ ثم رمى الى الخادم ببعض الدراهم وخرج من الحانة قاصداً الفندق الذي كان يقيم فيهِ . وكان في اثناء سيرهِ قد دبّ تأثير تلك الكأس الى رأسهِ فشمخ بأنفهِ معجباً بنفسهِ وتخيل لهُ انهُ في عزّ لم يدركهُ سواهُ وان من يراهم من البشر امامهُ خدم تسعى في تقديم الاحترام لهُ والطاعة لاوامرهِ . ولما بلغ غرفتهُ وانطرح على سريرهِ شعر بدوار خفيف فقام مذعوراً وجلس بازآء النافذة حيث كان النسيم البارد يخفف من حرارتهِ وحانت منهُ التفاتة فرأى في نافذة البيت المقابل لهُ فتاةً تتهادى تهادي غصن البان وتتلفت تلفت الغزلان وقد اشعلت مصباحاً في غرفتها ووقفت امام مرآة تضلح شعرها الذهبي الطويل المترامي الى اقدامها فظن فيليب نفسهُ في حلم او في عالم الخيال . فمسح عينيهِ وحدّق ببصرهِ الى تلك الغرفة وكانت الفتاة في ريعان الصبى معتدلة القوام ناضرة الوجه فسلبت لبهُ ولم يعد يستطيع ان يحوّل نظرهُ عن تلك النافذة الى ان اكملت الفتاة ضفر شعرها وارتدت ثياب النوم ثم اطفأت مصباحها وساد الظلام على الغرفة . و بقي فيلب حيناً طويلاً كانهُ ينتظر عودتها فلما يئس من ذلك رجع الى سريرهِ فنام وكان نومهُ مزعجاً قلقاً يهب منهُ من دقيقة الى اخرى مذعوراً و يسرع الى نافذتهِ فلا يرى شيئاً فيعود الى سريرهِ . ولما اسفر الصباح نهض فيليب وجلس امام نافذتهِ طول نهارهِ لعلهُ يرى فاتنة لبهِ فلم يفز بمشاهدتها واعياهُ الانتظار فخرج من الفندق وقادتهُ خطواتهُ الى الحانة فوجد دخولها هذه المرة اسهل منهُ بالامس فجلس وشرب الكأس الاولى والثانية و بعد ان تناول الطعام عاد الى غرفتهِ ولا تسل عن سرورهِ حين رأى غرفة

جارتهِ مضآءةً كالليلة البارحة . وبعد قليل نظر تلك الغادة تتنقل في الغرفة ذهاباً وايابًا ثم جلست تقرأ كتاباً الى ان دنت ساعة المنام فقامت كالسابق وعينا فيليب تراقبانها وهو يكاد يمانع اجفانهُ عن ان ترفّ لئلا تقطع عليهِ لذة ذلك المنظر ولو لحظة

واشتد الغرام والهيام بفيليب فبقي على الحالة التي ذكرناها مدة ايام لم يتغير في وصف حالتهِ شيء سوى انهُ اعتاد المسكر واصبح لا يرتوي الا من الكاس السابعة أو الثامنة . وتمكن اخيرًا من التعرف بأهل الفتاة فوجدهم اناسًا من طبقة غير دنيئة يتعاطى والدها التجارة وتذهب هي الى المدرسة يوميًّا لتتعلم اللغة الفرنسوية والموسيقى وعرف ايضًا انها تدعى اوجيني . وكان فيليب يتردد على هذه الاسرة مدة فلا يزيدهُ الاجتماع بفاتنتهِ الا عشقًا وهيامًا لم يستطع اخفآءهُ فباح لها يومًا بما يكنهُ فؤادهُ من الحب فأجابتهُ الفتاة بلطف انها تميل اليهِ ايضًا ولكنها تروم منهُ ان يفاتح والديها في الامر قبل ان يعتمد على جوابها لانها لن تفعل شيئًا بدون ارادتهما . وكان ذلك ما يتمناهُ فيليب فذاكر اهل الفتاة بما في نفسهِ وكان هؤلآء لا يعرفون من امرهِ شيئًا يمنع موافقتهم لطلبهِ فأجابوهُ فخطب اوجيني وايقن انهُ ادرك ذروة السعادة والعز واخذ من يومهِ يقدم الهدايا الثمينة والجواهر والحلى النفيسة . ورأى ان المال المعين لهُ شهريًّا لا يكفي لنفقاتهِ هذه فذهب الى عمهِ وطلب منهُ ان يزيد لهُ المرتب الشهري . وكان سعيد يعلم ان ما خصصهُ لفيليب اكثر مما يحتاج اليهِ فتًى في سنهِ وحالتهِ وخشي ان زاد المبلغ ورأى فيليب كثرة المال في يديهِ ان يقتدي بسيرة ابنآء الاغنيآء فينهمك بالمسكر والمقامرة فرفض طلب ابن اخيهِ وقال لهُ ان ما عينتهُ لك يجب ان يزيد عن احتياجاتك فانفقهُ بتعقل ولا تسألني ان ازيدهُ لك بعد الآن . وخاف فيليب ان اخبر عمهُ بخطبتهِ لاوجيني ان يغضب عليهِ لانهُ فعل ذلك بدون علمهِ فربما آل الامر الى اجبارهِ على فسخ الخطبة وهو امرؤ يرى الموت اسهل عليهِ منهُ أو حرمانهِ المرتب ان خالفهُ فلا يبقى لهُ سبيل الى الحصول عليها بوجه من الوجوه فصبر على بلواهُ ولكنهُ صبرٌ قطّع فؤادهُ وهاج حقدهُ فلبث الى ان انتهى الشهر وقبض راتبهُ ثم عاد الى القاهرة وما صدّق ان اجتمع بحبيبتهِ وشبكا لها

ألم الفراق فعاتبتهُ على تركهِ اياها تلك المدة فقال ان اشغالهُ في مشارفة اطيان عمهِ توجب عليهِ ان يتفقدها من وقتٍ الى آخر . وعاد فيليب الى تبذيرهِ السابق فما انتصف الشهر حتى اصبح صفر اليدين وكان قد صار من اخصّ المترددين على تلك الحانة الجهنمية فلم يتأخر صاحبها عن ان يسلفهُ ما يحتاج اليهِ من المال ويقدم لهُ المشروب على الحساب فكان يبقى الى ما قبل نهاية الشهر بخمسة ايام ثم يغادر القاهرة ويعود الى عمهِ فيصرف الايام الباقية في العزلة والانفراد الى ان يقبض الراتب الجديد ويرجع فيفي صاحب الحانة حقهُ ويعود الى مثل الشهر السابق

وكان فيليب يعلل نفسهُ بأن عمهُ قد تقدم في السن وانهُ لا بد من موتهِ قريباً فلا يكون لهُ وارث سواهُ فيتمتع اذ ذاك بتمام ما يشتهيهِ بدون مراقبة ولا عريف . وبعد مرور ستة اشهر على خطبة فيليب كان اهل خطيبتهِ يلحون عليهِ بالاسراع في الزواج جرياً على عوائد البلاد فكان يسوّفهم ويعدهم بالاسراع في ذلك وهو يبتهل الى الله ان يقصّر من حياة عمهِ وينيلهُ مبتغاهُ . وفي ذات يوم عاد الى بيت عمهِ كعادته عند اواخر الشهر فوجد البيت في حركة غير مألوفة ورأى اناساً يعملون في التنظيف والترتيب وتجديد الاثاث والمفروشات فاستغرب ذلك وسأل عمهُ عن السبب فقال لهُ انني بلغت هذا العمر يا فيليب ولم ازل عزباً لان قوة الحداثة كانت تسهل لي قضاء حوائجي اما الآن وقد بدأت اشعر بضعفي فقد عزمت على الاقتران بسيدةٍ تساعدني في خوض بحر هذه الحياة . ولو وقعت صاعقة على رأس فيليب لكانت عليهِ اسهل احتمالاً من سماع كلمات عمهِ هذه ولكنهُ تجلد وقال اصحيح ما تقولهُ يا عماه وقد اخبرتني من بضعة ايام انك في السابعة والخمسين من العمر فأي فتاة ترضاك بعلاً لها في هذه السن . فقهقه سعيد ضاحكاً وقال لا تخف يا فيليب فبين الفتيات من يعرفن فضل الزواج في هذه السن ويرغبن في ادارة البيوت اكثر من رغبتهن في التبرّج والملاهي وقد وجدت متهنّ واحدة وتم الاتفاق بيننا برضى ذويها . فقال فيليب ومتى يكون الاقتران يا عماه . قال في آخر الشهر الحالي ولم اخبرك بذلك واستدعك لحضور الحفلة لعلمي انهُ لا بد من مجيئك في مثل هذا الوقت

ولم يستطع فيليب بعد هذا ان يقف امام عمهِ لئلا يخونهُ جلدهُ فخرج من البيت وسار على غير هدًى حتى ابتعد عن البلدة وغاص بين الاراضي المزروعة وما زال سائرًا حتى بلغ ضفة احدى الترع وقد نمى على جانبها الحلفآء فجلس وغرق في تأملاتهِ وتأكد ان جمع آمالهِ قد ذهبت ادراج الرياح وانهُ اذا تزوج عمهُ فلا يبقى لهُ رجآء في الحصول على المال لانهُ اما ان يرثهُ اولاد عمهِ اذا رزقهُ الله اولادًا أو تقاسمهُ زوجتهُ جانبًا من التركة . وفيما هو كذلك استدعى انتباههُ صوت لغطٍ وغوغآء بالقرب منهُ فأصاخ بسمعهِ واذا بصوت بعض الفعلة الحشاشين قد اجتمعوا في تلك الخلوة يدخنون ويقول احدهم ان حياتنا صعبة يا اخوان فلا نكسب في يومنا اكثر من غرشين ننفق احدهما ثمن الحشيش ونبقى على غرش واحد . فقال آخر اما انا فلست بقانعٍ بهذه العيشة ولا بد من ذهابي الى بلدة كبيرة فأترصد بعض اغنيآئها الى ان اسلبهُ شيئًا وافرًا من مالهِ سوآء كان بالنصب أو القتل أو كيفما كان الحال واعود خلي البال

وبعد مباحثةٍ دامت حصةً من الزمن نهض الفعلة الى اشغالهم الا المتكلم الاخير فان فعل الحشيش كان قد اثر فيهِ اكثر من اصحابهِ فتوسد الثرى ورأى الباقون حالتهُ وظهر انها كانت مألوفة عندهم فتركوهُ ومضوا

وابرق في مخيلة فيليب فكرٌ جهنميٌّ فضحك مقهقهًا ونهض لساعتهِ فسار الى ان جآء وجلس بجانب النائم واخذ يكلمهُ ويسايرهُ الى ان افاق قليلاً من سكرهِ فقال لهُ ما اسمك يا هذا قال اسمي عثمان . فقال لهُ هل لك ان تخدمني خدمة يا عثمان فاغنيك . فابرقت اسرة عثمان وقال مرني يا مولاي فتراني لك اطوع من هذه العصا التي في يدك . فقال فيليب ولكن ربما كان في خدمتي خطر او اوجب الامر قتل شخصٍ ما . فقال عثمان ولو كلفتني قتل عشرين شخصاً لا اتأخر عن القيام بخدمتك . وكان فيليب بعد معاشرتهِ لاصحاب الكأس قد علم ان بين رعاع القوم من يوثق بهم وانهم اذا وعدوا وفوا فاطلع عثمان على تاريخ حياتهِ كما علمناهُ واخبرهُ ايضًا بما نواهُ عمهُ وانهُ سيفقد جميع آمالهِ . ثم قال لهُ وقد عزمت الآن ان اكلفك قتل عمي قبل زواجهِ ليعود الارث اليَّ واذا تمّ ذلك انقدك مئة جنيه

واعين لك راتباً لا ينقص عن ثلاث مئة غرش تتقاضاهُ مني شهرياً . فطارت نفس عثمان سروراً ونهض فاخرج من حزامهِ خنجراً ماضياً يلوح ملاك الموت على حدّهِ وقال اتريد ان اذهب الآن . فقال فيليب مهلاً يا صاح فلا بد من تدبير الامر قبل السعي فيهِ . و بعد تبادل الافكار قرر الاثنان ان يذهب عثمان في تلك الليلة الى بيت سعيد فيتربص لهُ في غرفة نومهِ ومتى نام يقوم فيطعنهُ ثم يترك الخنجر غائصاً في جسمهِ ويلقي بجانبهِ بطاقةً كتبها لهُ فيليب مقلداً فيها كتابة عمهِ يقول فيها انهُ هو قتل نفسهُ لاسباب خصوصية وينفي التهمة عن كل احد سواهُ

ولما خيم الظلام ذهب عثمان عاقداً النية على اتمام رسالتهِ ومرّ في طريقهِ على حانةٍ شرب فيها مقداراً من المسكر لكي يساعدهُ في عملهِ . وعند ما انتصف الليل قصد بيت سعيد وعالج نافذةً ففتحها ودخل فلم يجد احداً في البيت لان سعيداً كان قد خرج ليزور بيت خطيبتهِ فدخل غرفتهُ وانسلّ تحت سريرهِ واقام ينتظر رجوعهُ ولكنهُ ما مضى عليهِ وقتٌ طويل حتى غلب عليهِ النعاس والسكر فنام . و بعد ذلك بقليل عاد سعيد الى البيت فدخلهُ وهو يفكر في غدهِ وقرب موعد الزواج و بلغ غرفتهُ فجلس وخطر في بالهِ امر ابن اخيهِ فيليب فعزم ان يخصص لهُ مبلغاً جسيماً من المال و يسلمهُ اليهِ ليتصرف فيهِ كيف شاء . وانهُ في هذه الافكار واذا بغطيط نائم استوقف افكارهُ فحار في الامر و بحث عن جهة الصوت حتى اقترب من السرير ورفع غطاءهُ فرأى عثمان نائماً بتمام الراحة على الارض قابضاً بيدهِ على الخنجر المعهود و باليد الاخرى على البطاقة . فتراجع سعيد مذعوراً وما صدق ان بلغ الباب فخرج بكل خفةٍ واحتراس وايقظ خادماً لهُ فارسلهُ في طلب الشحنة .

والقي القبض على عثمان وهو في سبات النوم ولما افاق قرروهُ فاقرّ فسلموهُ الى العدالة لتنظر في شأنهِ . اما فيليب فتداخل عمهُ في امرهِ و بعد ان وبخهُ على مكافأتهِ اياهُ بالشرّ عما احسن بهِ اليهِ تكرّم عليهِ بمبلغ وصرفهُ ليذهب الى حيث شاء بشرط ان يغادر القطر فذهب تاركاً الجنة التي اضاع فيها عزهُ ومستقبلهُ وخطيبتهُ وهو يلعن الكأس الاولى التي شربها فجرّت عليهِ هذا الوبال .